تمثال المتنبي

لم يكن المتنبي يعرف ان بغداد ستحتضن شارعا يحمل اسمه ، وأنه سيكون مخصصا لبيع الكتب ، وهو القائل:
أعزّ مكان في الدنا سرج سابح .. وخير جليس في الزمان كتاب
ما الذي سيحدث لو أن المتنبي امتطى فرسه ، وجاء الى شارعه بحثا عن كتاب ، ربما ستدهشه نوعية الكتب وأشكالها وألوانها ، وحتى موضوعاتها ، فالرجل غادر الكتاب وهو مهووس بالشعر والأدب، ربما سيتفاجأ بكتاب ماغي فرح ، وكيف سيقنعه بائع الكتب أن هذا الكتاب يتحدث عن الأبراج والطالع ، هل يمكن لبائع الكتب أن يقنع المتنبي بأن كتاب ماغي فرح اكثر مبيعا من ديوانه بعشرات الالاف من المرات ، شاغل الدنيا ربما سيصاب بالخيبة ويعود ادراجه من حيث اتى ، جاء المتنبي وغادر خلسة ، لم يثر اهتمام الناس الذين كانوا يتجولون في الشارع، فقد كانوا مهتمين بالبحث عن كتب بعينها، أصيب الرجل بالاندهاش والحيرة ، فقد شاهد العديد من عناوين الكتب العلمية التي تتحدث عن تقنيات البرامجيات ، ووقف حائرا امام الاقراص المدمجة ، الا انه لمح وعن بعد ما يشبهه، مر قريبا من مقهى الشابندر ليلحظ عن بعد ان هناك تمثالا عند حافة النهر .. إنه أنا .. هكذا تمتم المتنبي مع نفسه .. وبعد ان وجد نفسه غريبا في مكان يحمل اسمه ، وهناك تمثال وضع تكريما له ، آثر ان ينشد :
أنا في امة تداركها الله .. غريب كصالح في ثمود

□ بغداد/ ماجد طوفان

القراءة في المدن انتقائيّة وفي الريف سُبّة

المتنبي في شارعه يتنازل حياء من أبراج ماغي فرح

غاب المتنبي في زحمة الناس ، وبقينا نحن نبحث عن الكتب ، كانت الاسئلة تسحبنا نحو اصحاب المكتبات ، لمعرفة مدى اهتمام العراقيين بالقراءة ، وما لذي يقرأونه ؟ وهل ترك لهم الوضع المأساوي الذي يعيشونه متسعا للقراءة ؟ واي الفئات العمرية الاكثر اهتماما ؟ وما هي العناوين الجاذبة لهم ؟ وهل اصبح الكتاب ترفا ام حاجة ؟ وهل اصبح الكتاب في مراحل متأخرة بسبب التكنولوجيا ؟

الكتب الدينيّة والفضائح والإلحاد الأكثر رواجا

الناشر والاعلامي مازن لطيف كان اول من التقيناهم وسألناه عن الكتب الاكثر مبيعا ، وهل ان هناك ثباتا لنوعيات معينة من الكتب تحافظ على رواجها فبادر بالقول " الكتب الاكثر مبيعاً في السنوات الاخيرة تختلف بين فترة واخرى وهناك عرض وطلب مثلها مثل اية سلعة اخرى، فهناك الكتب الدينية وتحديدا (الشيعية) بسبب انها كانت ممنوعة سابقا ، فاصبح لها رواج كبير جداً كونها ممنوعة لعقود من الزمن، وقد ضخت ايران وبيروت هذه الكتب بصورة كبيرة وبأسعار رخيصة ومدعومة، لكن ما يهتم به القارئ الان هو الكتاب السياسي من مذكرات او فضائح سياسية وهي الكتب الاكثر رواجاً فضلاً عن الكتب الفكرية خاصة الكتب التي لها رؤية علمانية، ولا ننسى الكتب الاكثر رواجاً ومبيعاً في كل دول العالم بما فيها العراق، وهي كتب الطبخ والابراج، هذه الكتب لها مواسم وهي بداية كل عام .

وعن حضور المرأة في اقتناء الكتب وغيرها من الفئات العمرية اضاف لطيف، المرأة ضعيفة الحضور في جانب الكتاب والقراءة وحضورها لشارع المتنبي اغلبه هو لحبّ الظهور او يكون لها لقاء مع صديقة او مشوار آخر.

وعن تأثير الانترنيت في الاقبال على الكتاب ، اوضح لطيف ، لقد اثر الانترنت على الكتاب بشكل قليل في العراق لكون العراقيين قليلي الخبرة في مجال الانترنت لكن يبقى للكتاب نكهته وقراؤه ، اما الشباب فقد اقبلوا في الفترة الاخيرة على شراء الكتب التي تتحدث عن نقد الفكر الديني والكتب التي تتناول فكر الالحاد.

نزار قباني ونابليون بونابرت

شيماء طالبة في كلية الآداب ، سألناها اذا كانت تهتم بقراءة الكتب فقالت: قرأت في المنهج الدراسي عن فرويد وأحببته جدا ، وذهبت مع ابي الى شارع المتنبي واقتنيت كتاب تفسير الاحلام لفرويد ، لأنني مهتمة كثيرا بالاحلام ، وعندي هوس كبير بقراءة الابراج ، مع اني لست مقتنعة بها كثيرا ، ولكنني اقرأوها من باب الفضول والمتعة " اما كرار وهو طالب في كلية التربية فقد ابدى انه يهتم بمتابعة قصائد الشاعر نزار قباني ، وعندما سألته كم كتابا تملك لنزار ، اجابني انا اراها في السوق او المكتبات لكنني لا اقتنيها ، وهنا استغربت منه وقلت له كيف تهتم بشاعر وانت لا تملك اي كتاب له !! فأجابني انا أتابعه من خلال ما غنى له المطرب كاظم الساهر

مقهى الشابندر

مع طابعته القديمة

وحاضر في مستقبل العراقيين ، وجال في ذهني سؤال ، اذا كان هذا هو حال المدينة ازاء قراءة الكتب ، فكيف هو حال الريف ، لملمت ذاكرتي وأسعفتني بشكل جيد ، فقد كانت أرياف المدن الجنوبية وغيرها من محافظات العراق منبعا ثرا ورافدا مهما للثقافة العراقية وهناك اسماء خالدة في ذاكرة العراقيين نحتاج الى قاموس طويل لذكرها ، ففكرت ان اذهب الى منطقة ريفية لأرى مكانة الكتاب عندهم وكيف ينظرون الى من يقرأ او يقتني الكتاب .

حملت اوراقي وذهبت الى احدى المناطق الريفية التي تقع على اطراف بغداد، وتحديدا في منطقة مشرفة على نهر ديالى ، تجولت في المنطقة التي يسكنها بعض الاقرباء ، ورافقني احدهم لعلي اجد احدا اسأله وبينما انا في دوامة البحث ، مر شخص بقربي استوقفته وبعد السلام عرفته بنفسي وسألته هل تقرا ؟ بقي محدقا في وجهي وكأنني اتكلم معه بلغة اخرى او بحديث خارج عن المألوف!! سألته عن اسمه ، فقال : اسمي إبراهيم، امضيت معه عشر دقائق اشرح له عن الكتاب والقراءة ، وبعد ان فهم ما جئت لاجله ، قال لي ابراهيم انه لا يجيد القراءة والكتابة وانه لم يكمل دراسته الابتدائية ، لكونه اتجه الى ممارسة عمل اهله واجداده في رعي المواشي والزراعة ، واوضح لي ان القراءة بالنسبة لهم امر غير ضروري ولا يعني لهم شيئا وامضي كل وقتي لرعاية الاغنام ، وعلى فرض انني اجيد القراءة فلا احسبني سوف اقرأ ، ولا اتصور كيف يمكن ان اشتري كتابا ما .

بعد ذلك سألته عن حال النساء والفتيات في قريتهم ، فأجابني : حال أكثرهن كحالنا بل ان حصولهن على فرص الالتحاق بالمدارس اقل بشكل كبير جدا ، وذلك نظرا لوضع الارياف والقرى المتشدد، حتى وإن حصلت احداهن على فرصة التعليم فإنها لن تكمل دراستها كما حصل مع إحدى بنات عمي التي وصلت الى الرابع الابتدائي ، تركت الدراسة لتعين أمها في إعداد الطعام والخبز .

قبل ان اودع إبراهيم ، قال لي : نعتبر من يتكلم باللغة العربية الفصحى شخصا متشدقا ويترفع على الآخرين، واذا كان هناك من يقتني الكتب في القرية ، فإننا نقول عنه بأنه مختل عقليا ، وانه سيصاب بالجنون لكثرة قراءته ، بل ان الوضع قد يكون أكثر قسوة حينما تصبح القراءة عارا على صاحبها .

كان العراقي سابقا وتحديدا الطلبة يتجهون الى المكتبات أثناء العطل ، وآخرون يقبلون على شراء الكتب ، اما اليوم وبعد ان مر العراق في حروب دامية ومدمرة ، جعلت العوائل ترسل أبناءها الى العمل بدلا من المدارس ، لذلك أصبحت القراءة مثلما يقال في خبر كان ، يضاف لذلك ان الرعاية الحكومية لم تعمل على تشجيع الفئات العمرية الناشئة للاقبال على القراءة ، لم نسمع عن مشروع داعم للقراءة كما هو الحال في البلدان المتطورة .

وهنا اتذكر كلمة وزير الدعاية الالماني غوبلز أيام هتلر " كلما سمعت كلمة مثقف تحسست مسدسي" وهذا يؤكد كم ان الثقافة مرعبة للدكتاتوريات.

الفلسفة وألمانيا الهتلرية

صاحب المكتبة محمد سلمان بين ان الكتب الاكثر مبيعا هي كتب الفلسفة وما بعد الحداثة ، اضافة الى الرواية ، والكتب السياسية ، وعندما سألته عن الفئات التي تتردد على مكتبته ، اوضح سلمان " اغلب من يتردد على المكتبة هم الرواد ، اساتذة الكليات وطلبة الدراسات العليا والمهتمون بالشأن الثقافي ، وعن الشباب وهل هم من الذين يترددون عليه لأجل اقتناء كتب بعينها اشار سلمان ان جيل الشباب حضورهم قليل ، وهم مهتمون بالروايات البسيطة وبعضهم متجه نحو الكتاب الديني ، على الرغم من التراجع الملحوظ على طلب الكتاب الديني في الآونة الاخيرة ، وعن تأثير الانترنيت على الكتاب الورقي اضاف سلمان ان المعادلة معكوسة ، اذ ان متعة القراءة في الكتاب الورقي غير متوفرة على الانترنيت ، والدليل ان هناك انتشارا ملحوظا لدور النشر ، وقال ان اهتمام النساء يكاد يكون محصورا في كتب الطبخ ودليل التغذية ، ملمحا الى ان الوضع الامني يؤثر احيانا على مستوى القراءة ، وعن اغرب ما مر به من موقف خلال عمله في بيع الكتب " في احد الايام دخل الى مكتبتي احدهم وسألني : هل عندك كتاب عن ركضة طريريج ، فاجبته ليس عندي كتاب بهذا العنوان ، فاطرق لدقيقة وكأنه يريد ان يستذكر شيئا اخر ، فبادرني بسؤال اخر : هل اجد عندك كتاب تاريخ ألمانيا الهتلرية !!، واضاف محمد وهو يبتسم ما يحرجني كثيرا ان بعض المثقفين يأخذون مني الكتب واحيانا لا يدفعون أثمانها الا بعد فترة طويلة.

القراءة عار في الريف

وانا اهم بمغادرة الشارع بعد الذي لا يمكن لأي تحقيق ان يستوفي تاريخه الطويل وما يشكل من تراث من قصائد . وليس بعيدا عن هؤلاء الشباب لاحظت ان الفتى حسان الذي لا يتجاوز عمره الـ ١٤ ربيعا مهتم بقراءة الكتب التي تتحدث عن الحرب ، فقلت له ما الذي دعاك الى قراءة الكتب العسكرية والتي تشم منها رائحة القتل والدماء والخراب ، فاجاب بأنه فتح عينيه على الحرب ، وهو يحب الشخصيات العسكرية التي سطرت اسمها في متون التاريخ . وحسان أبدى اعجابه بسيرة حياة نابليون بونابرت ، وقال كل ما يخص نابليون عندي.. سيرته وحياته وتفاصيل غزواته وصوره تملأ غرفتي ، حتى ان اصدقائي اصبحوا يطلقون علي اسم نابليون لكثرة اهتمامي به .

وفيما انا افكر ان التقط عينة اخرى لأعرف اهتماماتهم من خلال تجوالي في الشارع وفي مكتبة عدنان تحديدا ، اثار انتباهي احدهم وهو يسأل عن كتب السياحة والجغرافية وهو رجل قد قارب الخمسين من العمر ، فسألته عن سر اهتمامه بهذا النوع من الكتب فبادرني بالقول " انا سمير وصار لي سنين طويلة وانا اتابع الكتب التي تهتم بالسياحة والمعالم الجغرافية ، لأنني كنت محروما من السفر في ايام النظام السابق ، فما كان مني الا ان اطلع على العالم من خلال الكتب والصور التوضيحية والخرائط ، واضاف " انا الآن اعرف اغلب مدن العالم من خلال الصور والخرائط وربما اعرف حتى ضواحيها وشوارعها .

مازن لطيف

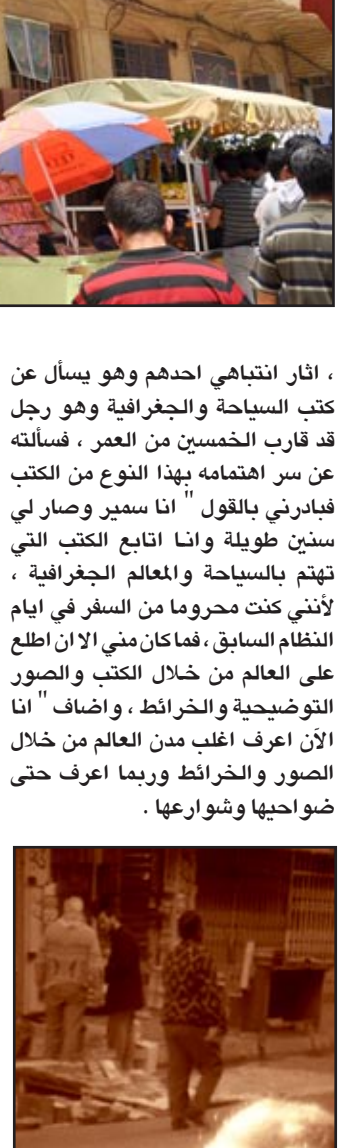

نعيم الشطري أشهر بائع للكتب

الكتب على الأرصفة

الكتب الاكثر رواجاً ومبيعاً في كل دول العالم بما فيها العراق، هي كتب الطبخ والأبراج

عن ماذا يفتش هذا الصغير